دور اللغة العربية في المحافظة على الهوية الثقافية

عبد الله بن علي بن أحمد القرني [1]

الملخّص

المتأمل في تكوين المجتمعات الإنسانية، والمؤثرات المباشرة على ثقافتها وتاريخها وتكوينها الاجتماعي، يلاحظ الآثار الكبرى للغة العربية على الهوية الثقافية؛ إذ تعتبر اللغة من أخص المكونات المؤثرة على الهوية، ووعاء المعرفة والثقافة، ومهد انطلاقاتها الكبرى، وحين تتطور الثقافة وتزدهر فانظر إلى الجانب الآخر تجد أن اللغة في أفضل عصور ازدهارها. ورصد العلاقة الخاصة ما بين الهوية الثقافية واللغة العربية على وجه الخصوص، وتأثيراتها المتبادلة، ودورها في الحفاظ على الهوية من جليل أعمال المثقف، فاللغة العربية لها شأن عظيم في التأثير المباشر على هويتنا الثقافية، وحمايتها من المؤثرات التي حاولت تغييب المجتمعات الإسلامية والعربية عن تاريخها الثقافي، والاجتماعي .

الكلمات المفتاحية: اللغة. الهوية. الثقافة. العربية. المحافظة. المثقف.

[1] الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية بجامعة أم القرى aaqrni@uqu.edu.sa

ROLE OF ARABIC LANGUAGE IN PRESERVING CULTURAL IDENTITY

Abdullah Ali Ahmad Alqarni

Abstract

Upon contemplation of formation of human societies together with the direct impacts on culture, history and social formation, it is crystal clear that Arabic language has considerable effects on the cultural identity. As a matter of fact, the language is viewed as the most special component affecting the identity and scope of knowledge and culture. Further, it is regarded as the launching pad for its large start. When the language improves and flourishes, the one should look at the other side where the language becomes in its best era of flourish. This study is concerned with identifying the special correlation between Cultural Identity and Arabic language in particular, as well as the exchanged effects, role in preserving the identity of the intellectual's works. Arabic Language has considerable direct impact on our cultural identity and further plays a pivotal role in protecting the cultural identify from the attempts aiming to keeping Arabic and Islamic societies at dark and distancing them away from its cultural and social history.

Intellectual Keywords: Language, Identity, Cultural, Arabic, Conservative, the

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحابته ذوو الفصاحة والبيان، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أوائل ما تكرم به المولى –جل جلاله –على آدم أن علمه الأسماء كما في قول تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة:31]

واختص بنيه بأن علمهم شرف البيان، كما قال تعالى:﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن:1-4]فالنطق فضيلة عظيمة وهبها الله للإنسان، وبها نال آدم سبقاً على الملائكة حين علمه الله الأسماء، وعلمه البيان "أي: التبيين عما في ضميره، وهذا شامل للتعليم النطقي والتعليم الخطي، فالبيان الذي ميز الله به الآدمي على غيره من أجل نعمه، وأكبرها عليه"[2].

وقد بعث الله رسله إلى الناس جميعاً؛ ليبلغوهم رسالات ربهم، وبعث كل رسول بلسان قومه، حتى يكون البلاغ واضحاً بيناً، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم:4] وكل ذلك كان من خلال اللغة، والتي لها الأهمية الكبرى في إيصال رسالة الله إلى خلقه، كما أن لها إسهاماً في وحدة المجتمع، وتعايشه، وزيادة تماسكه الداخلي.

فاللغة هي: "أداة التفكير، وأداة البيان"[3]، وهي من أظهر ما يُسهم في تشكيل الثقافات والقوميات، وتظهر تمايزها، فاختلاف اللغة اختلاف للهُويات؛ فالأمم لا تكتسب كينونتها وهُويتها إلا من خلال اللغة، فهي وجدان الأمة ووجودها، ورسالتها، ووعاء فكرها، وثقافتها، وتاريخها، وانتصاراتها.

وفي أوقات الأزمات التي تمر بها أمةُ من الأمم، تكون المحافظة على اللغة محافظةً على بقاء هُوية وتاريخ تلك الأمة، فالمصاب في اللغة وفقدانها، فقدان للهوية والثقافة والتاريخ، والشك في لغتها ومقدراتها واستيعابها للفكر الذي يواكب تطورات المجتمع ومتغيراته، شك في حقيقة حياة الأمة، ووجودها.

---

[2] عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص828. وينظر: الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب**، ج22، ص42.

[3] محمود شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص409.

وقد أحسن معروف الرصافي في بيانه بأن رابطة اللغة هي رابطة هُوية في أبياته التي قالها:

أتونس إن في بغداد قوماً تَرِف قلوبهم لك بالودادِ
ويجمعهم وإياك انتساب إلى من خُصّ تنطقهم بضادِ
ودينٍ أوضحت للناس قبلاً نواصعُ آيةِ سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قربى وإن قضت السياسة بالبعاد
وماضرّ البعاد إذا تدانت أواصر من لسان واعتقاد
وإن المسلمين على التآخي وإن أغرى الأجانب بالتعادي[4]

وقد حاولت في هذا البحث إظهار العلاقة بين الهوية واللغة، وبيان أهمية اللغة في تشكيل الهوية وحمايتها ضد المؤثرات المباشرة على الهوية، فلم يتطرق البحث إلى البناء اللغوي المجرد للغة العربية أو غيرها، بل إلى ما هو أعمق من ذلك.

- **مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة البحث في بيان دور اللغة عموماً، والعربية خصوصاً في الحفاظ على هويتنا الثقافية، والتحديات التي تواجه ذلك.

- **أهداف البحث.**
  - يهدف البحث إلى الإجابة عما يلي:
  - التعريف باللغة والهوية وإظهار العلاقة بينهم.
  - بيان وظائف اللغة المتعددة، وعلاقتها بالهوية.
  - إظهار مكونات الهوية، وعلاقتها باللغة.
  - إبراز مكان اللغة، ودورها الجوهري في الحفاظ على الهوية، والتحديات التي تواجهها في سبيل ذلك.
- **أهمية البحث:** تحتل اللغة مكانة عميقة في التأثير الثقافي على المجتمعات الإنسانية، مما اكسبها دوراً أساسياً في تكوين الهوية الثقافية للمجتمعات والمحافظة عليها، وإبراز دور اللغة في تأثيرها على

[4] الرصافي، معروف الرصافي، **ديوان الرصافي**، ص195.

الهوية الثقافية، وحمايتها من التأثيرات التي تعصف بها، مهم جداً للباحث في الدراسات الإنسانية.

- **منهج البحث:** اعتمدت في هذا البحث على المنهج التحليلي فتتبعت منزلة اللغة من الثقافة والعلاقة بينهما، وحاولت اخراج مكنون تلك العلاقة وتأثيراتها في المحافظة على الهوية الثقافية.
- **خطة البحث:**

وقد تكونت الخطة حسب موضوع البحث على ما يلي:

- المقدمة
- التمهيد
- المبحث الأول: التعريف باللغة والهوية الثقافية، والعلاقة بينهما، وفيه النقاط التالية:
  - أولاً: التعريف باللغة، والهوية الثقافية.
  - ثانياً: وظائف اللغة، وعلاقتها بالهوية.
- المبحث الثاني: مكونات الهوية، وعلاقتها باللغة العربية، وفيه النقاط التالية:
  - أولاً: مكونات الهوية.
  - ثانياً: العلاقة بين الهوية واللغة:
- المبحث الثالث: مكانة اللغة العربية، وخصائصها، وتحدياتها الثقافية.
  - أولاً: مكانة اللغة العربية، وأهم خصائصها.
  - ثانياً: دور اللغة العربية في المحافظة على الثقافة الإسلامية.
  - ثانياً: التحديات الثقافية التي واجهتها اللغة العربية.
- الخاتمة، وأهم التوصيات.

- **الدراسات السابقة:** هناك بعض البحوث والدراسات التي تحدثت عن منزلة اللغة العربية ومكانتها ككتاب: منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة دراسة تقابلية من تأليف الأستاذ الدكتور: عبدالمجيد الطيب عمر، والتي اهتمت ببيان عظيم منزلة العربية بين اللغات المعاصرة وخصوصاً اللغة الإنجليزية، أو البحوث التي أبانت عن أهمية المحافظة على الهوية الثقافية ودورها في التعليم وموقفها من العولمة، كندوة البلاغة العربية: بعنوان: سؤال الهوية وآفاق المنهج، وإشراف الدكتور: عبدالله إبراهيم الزهراني، ودراسة الدكتور: ضياء الدين زاهر في كتابه: اللغة ومستقبل الهوية: التعليم

نموذجاً، ودراسة الدكتور: أحمد الضبيب في كتابه: اللغة العربية في عصر العولمة، وكتاب: الهوية والمعرفة والمجتمع والدين أو الدارسات التي اهتمت بتحليل المضمون الثقافي للغة كدراسة الدكتور أحمد أبو زيد عن حضارة اللغة، وفلسفة اللغة للأستاذ الدكتور: صلاح إسماعيل، وأنثروبولوجيا اللغة للأستاذ الدكتور عبدالعزيز شاهين، والعقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي لجون سيرل، وكتاب الطريق إلى ثقافتنا للأستاذ: محمود شاكر وغيرهم.

وهذه الدراسة تهتم بدراسة التأثير المباشر للغة العربية والعلاقة بينها وبين الهوية الثقافية، والتحديات التي تواجه ذلك، وما وجدته من الدراسات الأخرى هي تلك التي كتبت في حضارة اللغة وفلسفة اللغة، وكذلك عن الثقافة ومشكلاتها، دون التخصيص بدور اللغة العربية في المحافظة على الهوية الثقافية والذي هو عنوان بحثي.

ومن الله الكريم أستمد العون والتوفيق والسداد.

التمهيد

للغة دورٌ رئيس في تشكيلات الحضارات الإنسانية، والحفاظ على تاريخها، ومعارفها، وهي اليوم تحتل مكانةً عليةً، في شؤوننا الثقافية، والاجتماعية بل والاقتصادية.

فاللغة بمعناها الشامل ظاهرة ينفرد بها الإنسان عن بقية الكائنات، فقد صاحبت الإنسان في مختلف مراحله التاريخية، وتشكيلاته الاجتماعية، وكان لها دورٌ في تعليمه، وتطوره، وتواصله مع المجتمعات الأخرى، بل إن ثقافة الإنسان توأمة لغته " فاللغة قديمة قدم الإنسان نفسه، وقدم الثقافة أو الحضارة بمعناها الواسع"[5].

واللغة في معانيها الرحيبة ترتقي؛ لتكون العنصر الأساسي في حياة البشر، فبدونها يصعب تماسكه الاجتماعي والثقافي، والاقتصادي، ويستحيل قيام حضارته، ونظمه الاجتماعية، وأنماطه الثقافية، وقيمه الأخلاقية، بل صناعاته ومخترعاته، فهي أداته للتفاهم الذي هو أساس التعاون بين أفراده.

وباللغة يكتسب الإنسان المفاهيم، والمصطلحات التي تعينه على تواصله، وتثاقفه مع المجمعات البشرية الأخرى في ميادين رحبة من المعرفة، والتواصل الاجتماعي؛ ولولاها لما كانت هناك أي كتابة، أو أي وسيلة منهجية، ومنظمة، ومستمرة للاتصال، والتفاهم، ونقل الأفكار بمثل هذه الدقة، والسهولة في نفس الوقت.

كما أسهمت اللغة في حفظ التراث التاريخي الإنساني، ونقله للأجيال الحاضرة، والأمم المختلفة، ولك أن تتخيل زوال التاريخ البشري لو لم يكن هناك لغةً تحافظ عليه، بل الكتب المقدسة، ما كان لها حظ البقاء والديمومة؛ لولا كتابتها.

وللغة مكانة متميزة باعتبارها أداة نقلٍ للأفكار والمشاعر، وبها يستطيع الفرد أن يعبر عن نفسه، ويندمج بها بين أفراد المجتمع وطبقاته، فهي تؤسس لرابطة يتوحد حولها المجتمع؛ فهي سبب كبير في تآلفه وترابطه، وحافظة تاريخه، وتراثه، ووعاء ثقافته.

---

[5] أحمد أبو زيد، **مقال حضارة اللغة**، ص19.

فالعلاقة خاصة بين اللغة، والثقافة، والحضارة، فهي أكثر من مجرد الأصوات والألفاظ، فلولا وجود اللغة لما قامت هذه الحضارة، أو لظهرت حضارة أخرى من نوع مختلف عن حضارتنا المعروفة.

فخاصية الاستمرارية والتراكمية المعينة على التطور المستمر في الثقافة، والحضارة الإنسانية لم يكن لها وجود لولا أداة اللغة التي حافظت عليها ونقلتها للأجيال، فعن طريق اللغة والتفكير تكون خبرات الإنسان وتجاربه مستمرةً ومتصلةً، وهذا مما يساعد على تطورها وتنميتها، وهي في آخر الأمر تشكل التراث الحضاري والثقافي من جيل لآخر عبر الزمن، "فالإنسان لا يصنع الآلات فحسب بل هو قبل ذلك قد صنع الكلمات التي دلته على إبداع الصناعة، فتقدم الفنون عند الإنسان في عصوره القديمة والحديثة كان نتيجةً لتطور لغته التي تمكن بواسطتها من شرح الأمور، وتعليمها للآخرين". [6]

واللغة مذ تعلمها آدم، وهي تؤتي أكلها في مناحي حياة الإنسان، وتواكب تطوره ونهضته، وارتقاءه الحضاري؛ وذلك ما يلمسه الباحث عند التأمل في تطور اللغة العربية في فترة النهضة العربية الإسلامية، فاللغة هي الذات، وهي الهوية، وهي أداتنا لكي نصنع من المجتمع واقعاً حياً، وثقافة كل أمة كامنة في لغتها، كامنة في معجمها، ونحوها، ونصوصها، واللغة -بلا منازع – أبرز السمات الثقافية، وما من حضارة إنسانية إلا وصحبتها نهضة لغوية كبرى.

واللغة العربية هي أبرز ملامح ثقافتنا، وحضارتنا العربية، وهي كغيرها من اللغات الإنسانية شديدة الارتباط بالهوية، بل "هي اللغة الإنسانية الوحيدة التي صمدت سبعة عشر قرنًا في ازدهار أمتها وانتكاساتها". [7]

وفي هذا البحث سنتعرف على الهوية، واللغة، والعلاقة بينهما، ووظائف اللغة التي ربت على أن تكون مجرد أصوات، وتراكيب خالية من المرجعية الثقافية، والتاريخية، والعقائدية، كما سيظهر في هذا البحث مكانة اللغة العربية، ودورها في المحافظة على هويتنا، والله أسأل منه التوفيق والسداد.

---

[6] أحمد أبو زيد، **مقال حضارة اللغة**، ص١٢-١٣.

[7] نبيل علي، **تقانة المعلومات والثقافة رؤية عربية**، ص٨٣.

المبحث الأول: التعريف باللغة، والهوية الثقافية، والعلاقة بينهما

- **أولاً: التعريف باللغة، والهوية الثقافية:**

– التعريف باللغة: مشتقة من لغا يلغو: إذا تكلم؛ فمعناها الكلام. [8]

– أما في الاصطلاح: فمن أوائل من عرف اللغة أبو الفتح عثمان بن جني – رحمه الله – بقوله: " حد اللغة أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم". [9]

وقريب من هذا قول ابن خلدون – رحمه الله –: "بأن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد لإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم". [10]

ومن هاذين التعريفين يظهر لنا بجلاء الطبيعة الصوتية المقصودة للغة، وأنها تملك سياقاً اجتماعياً وثقافياً وحضارياً، وهي ما يكشف جانباً من سعة اللغة، وتعدد وظائفها – كما سيأتي معنا–كما أن للغة دلالاتٍ ورموزاً نافذةً فيها، وأنها تختص بأمة معينة، واختلافها من مظاهر التنوع الإنساني.

ومما يأتي على معنى اللغة: اللِّسانُ: وهو جمع أَلْسِنَةٌ وأَلْسُنٌ ولُسْنٌ، وهو اللُّغَةُ، والرِّسالَة والمقالةُ، والثناء، ولِكُلِّ قَوْمٍ لِسْنٌ أَي لُغَة يَتَكَلَّمُونَ بِهَا [11]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ [إبراهيم:4]أي: "بلغة قومه ما كانت". [12]

– أما عن التعريف بالهوية:

– ففي اللغة الهُويَّة: مشتق صناعي مولدة، والمراد بها حقيقة الشيء أو الشخصية التي تُميزه عن غيره.

---

[8] ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، ج 15، ص251.

[9] عثمان بن جني الموصلي، **الخصائص**، ج1، ص34.

[10] عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج1، ص735.

[11] ينظر: الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ص1230، وينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج13، ص386.

[12] محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج13، ص593.

13

– واصطلاحاً: "القسمات الثابتة من العناصر التراثية، كما أنها الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق
– اشتمال النواة على الشجرة". [14]

ويعرفها الدكتور جابر عصفور بأنها: "الخصائص النوعية التي تحدد ثقافة عن غيرها، وتجعلها تتمايز وتختلف بالقياس عن بقية الثقافات، وتتكون من عناصر ثابتة، عميقة الجذور، ضاربة في العمق التاريخي للأمة التي تُنسب لها الثقافة". [15]

فهي: "إحساس الفرد بنفسه، وفرديّته، وحفاظه على تكامله، وقيمته، وسلوكيَّاته، وأفكاره في مختلف المواقف". [16]

فالهُوية ارتبطت في نشأتها بالفردية، والتي تعني إدراك الفرد نفسيًا لذاته، ثم اتسع المفهوم ليشمل الهويات الاجتماعية، والثقافية، والعقائدية، والمعرفية لدى جماعات متعددة مختلفة، وبيئات معينة، وبعد قيام الدول الحديثة القطرية أضحت الهوية حديثاً مركزياً للدولة، والحياة الاجتماعية، والثقافية؛ للحفاظ عليها، وصيانتها من التغييرات الخارجية.

فالهوية إذاً هي ذلك الكائن الذي يتجلى في الظاهر الشائع من السمات، والخصائص النفسية، والثقافية والاجتماعية المميزة للجماعة، والتي تختزن العديد من الرمزية مما يخلفها التطور الحضاري والثقافي، ويبقي رواسبها عبر أزمنة التاريخ، فيصنع لها مرآة ترى بها نفسها، ويراها المجتمع الخارجي من خلالها، ويحكم على أمور علاقتنا به من خلال العناصر المكونة لمنظومة الهوية من منظور لغتنا الأم، ومن منظور معتقداتنا، ومنظومة قيمنا، ومن منظور تراثنا، ومن منظور ما يرسخه في عقولنا من إنتاج مفكرينا، وما يزرعه في وجداننا بإبداع فنانينا. [17]

---

[13] ينظر: إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج2، ص998. وينظر: عبد الهادي بو طالب، **معجم تصحيح لغة الإعلام**، ص280.

[14] محمد عمارة، **أزمة الفكر الإسلامي المعاصر**، ص24.

[15] **المصدر نفسه**، ص24.

[16] أحمد مختار عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج3، ص237.

[17] ينظر: نبيل علي، **تقانة المعلومات والثقافة رؤية عربية**، ص27. وينظر: نبيل علي، **قضايا عصرية رؤية معلوماتية**، ص ٤٤-٤٥.

فهي ليست كياناً ثابتاً، بل هي دائمة التشكل والتبادل، والتطور، والتأثر، والتأثير، وهي كما أنها مرتبطة بالماضي فلها رباط آخر بالمستقبل، وهي الملاذ الأخير الذي تلجأ إليه الأمم في أوقات الأزمات، والتحولات الحادة، والسبيل الذي يرشدها لطريقها الحقيقي، وصورتها الصادقة البعيدة عن التزييف، "فالهوية الثقافية قائمة في جبلة الإنسان، والتضحية بها أو المساومة عليها تؤدي إلى فرد ضائع، وأمة زائفة، والهوية الثقافية هي ما تمنح الناس مشاعر الانتماء، والأمن، والتواصل، والتفاعل، وتزودهم بالقيم والطموحات المشتركة، وبإمكانيات التوقع لسلوك الآخرين، وستضل الهوية هي الملاذ الأخير الذي تلجأ إليه الأمم، والشعوب، والجماعات في أوقات الأزمات". [18]

فكأن الهوية للأفراد والمجتمع بأكمله مرآة يرى بها ذاته، ومجتمعه، مع امتلاكه معياراً خاصاً للحكم على تصوره لقضاياه، ومستجداته الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحكم عليها، خصوصاً في عالمنا اليوم الذي أحدث فيه الانفجار المعلوماتي والمعرفي نقلةً كبيرةً في سرعة واتساع سبل التواصل الثقافي بين الأمم، والشعوب المختلفة، والمتباعدة، حيث ازداد السؤال إلحاحاً عن الهوية لدى المجتمعات الإنسانية، وبالأخص التي شعرت بالتهديد الذي ألمّ بها، وهدد خصوصيتها، وتاريخها، وحضارتها من دول، وشعوب أخرى بعيدة، قدمت إليها عبر منافذ متعددة —كما سيأتي بيانه معنا–.

— التعريف بالثقافة:

— الثقافة لغةً: مولد مشتق من فعل: ثقف الشيء أي حذقه وفهمه، وهو سرعة التعلُّم، وثقفته إذا ظفرتُ به. [19]

فالثقافة من الناحية اللغوية لها معانٍ تخص الحذق والمعرفة بالشيء وإدراكه، أما في المعاني الاصطلاحية لتخصص الثقافة فهي مقابلة لمصطلح (culture)، والذي له في الفكر الغربي دلالات فكرية، وتاريخية، ولغوية، وفلسفية، نابعة من ظروفه العلمية، والتاريخية في عصور النهضة. [20]

---

[18] نبيل بن علي، **تقانة المعلومات والثقافة رؤية عربية**، ص٢٥-٢٦.

[19] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج9، ص19-20.

[20] ينظر: **استراتيجية نشر الثقافة العلمية والثقافية في الوطن العربي**، طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص٨.

ومن أوائل تعريفاتها المشهورة تعريف عالم الاجتماع الإنجليزي إدوار تايلور21في كتابه الثقافة البدائية بأنها: "ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة، والعقائد، والفن، والأخلاق، والقانون، والعرف، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع". [22]

ويعرفها مالك بن نبي بأنها: "مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[23].

فالثقافة لها تأثير ظاهر ومستتر في حياة المجتمعات الإنسانية، فهي الصبغة والمخزون المعرفي والقيمي والعرفي والمفاهيمي للمجتمع، بمختلف فئاته وطبقاته، وذلك بدرجات متفاوتة، وفق استيعاب كل منهم، وحسب اتساع مداركه، وهي المؤثرة الأبرز في تحديد سلوكيات الأفراد، وردود أفعالهم، وطرائق تفكيرهم، وهي أيضاً" ما تبقى بعد زوال كل شيء". [24]

- **ثانياً: وظائف اللغة، وعلاقتها بالهوية.**

يتصور البعض أن اللغة هي تلك الأصوات التي يتواصل الناس بواسطتها فيما بينهم فحسب، وأن تلك غاية الدور الذي تؤديه، والبحر الذي تصل إليه، والحق أن بحر اللغة أعمق، وأكبر، وأنها تتشارك مع الدين والتاريخ فتشكل بذلك هوية للمجتمع بكامل وظائفها المتعددة، وفيما يلي نعرض لأبرز وظائف اللغة التي لها علائق بالهوية، وسيظهر لنا أن التواصل هو أحدها، وليس بأهمها، فاللغة تُغضب وترضي، وتُبكي وتحزن، وتُضحك وتُفرح، وما ذاك إلا بكلمات، فلها تأثير المشاعر، والأحاسيس، وهي ليست مجرد أصوات.

وهذه الوظائف تكشف لنا جانباً خفياً وظاهراً من العلاقة العميقة بين الهوية واللغة، وأنها تتشابه في الخصوصية بالإنسان، ومجتمعه، وتاريخه، وما يتبع من تطوره، أو تخلفه، وتغيره اللغوي هو تغير في هويته والعكس بالعكس، ومن أسمى وظائفها:

---

[21] عالم الأنثروبولوجيا البريطاني دوارد بيرنت تايلور(Edward B. Tylor) ومؤلف كتاب: الثقافة البدائية (primitive culture) ولد عام: 1832م، وتوفي عام: 1917م. ينظر: جوردون مارشال، **موسوعة علم الاجتماع**، ج1، ص301. وينظر: مصطفى المرابط، **سؤال القيم بصيغ متعددة**، ص220.

[22] مجموعة من الباحثين، ترجمة: د. علي سيد الصاوي، **نظرية الثقافة**، ص9.

[23] ابن نبي، مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ص19.

[24] نبيل علي، **قضايا عصرية رؤية معلوماتية**، ص٤٦. وينظر: **استراتيجية نشر الثقافة العلمية والثقافية في الوطن العربي**، ص٨.

– وظيفة التواصل: فالإمام ابن جني يُعرّف اللغة –كما سبق–بأنها أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فهي طريق الاتصال، والتعارف، والمشاركات المجتمعية بين الناس، وبدونها يصعب على الناس التواصل السهل بينهم.

– الوظيفة الشخصية: فمن خلال اللغة يستطيع الإنسان أن يعبر عن آرائه، ومشاعره، واتجاهاته الخاصة نحو موضوعات كثيرة، وتميزه عن غيره من المخلوقات، كما قال تعالى:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة:31]فكرمه بأن "علّمه أسماء كل شيء" [25]، وهو بذلك يثبت هويته وكيانه الشخصي ويقدم أفكاره للآخرين.

– الوظيفة الأخلاقية: فاللغة تؤثر على الإنسان في أخلاقه ومروءته وقيمه، وقد قال عمر بن الخطاب: "تعلموا العربية فإنها تُثبت العقل، وتزيدُ في المروءة"[26]، وشواهد صدق هذا في التاريخ العربي كثيرة.

– الوظيفية القومية: فاللغة كادت أن تكون الحدود الفاصلة لكل دولة عن الأخرى كما هو ظاهر اليوم في كثير من دول العالم، فنافست بذلك الحدود الطبيعية، فاللغة هي: "صورة الأمة بأفكارها ومعانيها، وحقائق نفوسها، وجوداً متميزاً قائماً بخصائصه؛ فهي قومية الفكر، تتحد به الأمة في صور التفكير، وأساليب أخذ المعنى من المادة، والدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها، وعمق الروح، ودليل الحس على ميل الأمة على التفكير، والبحث الجاد في الأسباب والعلل، وكثرة مشتقاتها برهان على نزعة الحرية وطموحها؛ فإن روح الاستعباد ضيق لا يتسع، ودأبهُ في لزوم الكلمة، والكلمات القليلة"[27].

– الوظيفة الاستكشافية: فما يجهله الإنسان في العالم المحيط به يكتشفه بأن يسأل بلسانه وكلماته عن الجوانب التي لا يعرفها في البيئة المحيطة به حتى يستكمل النقص عن هذه

---

[25] أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج 1، ص223.

[26] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، **شعب الإيمان**، ج 3، ص 210.

[27] الرافعي، مصطفى بن صادق، **وحي القلم**، ج3، ص27–28.

البيئة.

- الوظيفة التصويرية التخيلية:

فاللغة توصل المعاني وتصورها بكلمات، وكأنها بين يديه، والخيال الشعري يُلقى في قوالب لغوية، يستخدمها الإنسان للترويح، أو لشحذ الهمة والتغلب على صعوبة العمل، وبث الحزن والحب في قوالب كلمات اللغة، وإضفاء روح الجماعة والارتباط بها وبمقومات هويتها، كما هو الحال في الأغاني والأهازيج الشعبية، فاللغة ينفذ منها الإنسان " ليخلق للنفس دنيا المعاني الملائمة لتلك النزعة الثابتة فيها إلى المجهول وإلى مجاز الحقيقة، وأن يُلقي الأمور المكشوفة بما يتخيل فيها، ويرد القليل من الحياة كثيراً وافياً بما يُضاعف من معانيه". [28]

واللغة لديها القدرة الفائقة على الأخذ بالإنسان في دروب الإبداع والابتكار، " فاللغة لا تجمع المعلومات فحسب، فهي ليست جهاز تسجيل، إننا نعرف ذلك الاستبطان؛ إذ يمكنك أن تفكر فيما سيكون عليه العالم إذا ما اتخذ هذا المسار، وليس غيره، والواقع أنه بإمكانك تخيل أشياء لا يمكن أن تحصل فيزيائياً (مادياً)". [29]

- الوظيفة الإخبارية الإعلامية: فباللغة يستطيع الفرد أن ينقل معلومات جديدة ومتنوعة إلى أقرانه، بل ينقل المعلومات والخبرات إلى الأجيال المتعاقبة، وإلى أجزاء متفرقة من الكرة الأرضية خصوصاً بعد الثورة التكنولوجية الهائلة. ويمكن أن تمتد هذه الوظيفة؛ لتصبح وظيفةً تأثيريةً إقناعيه؛ لحث الجمهور على الإقبال على سلعة معينة أو العدول على نمط سلوكي غير محبب.
- الوظيفية الاقتصادية: فالتطور الاقتصادي اليوم نهض بارتباطه باللغة بل باعتماده عليها، وكثير من تجارات اليوم خصوصاً منها المتعلقة بشبكات الإنترنت لا مكان لها لولا سفينة اللغة التي حملتها إلى الناس من مختلف أقطار العالم، فقرأوا وسمعوا عن تلك المنتجات، وتسارعوا لشرائها.
- وظيفة نقل التاريخ، والحفاظ عليه: فالتاريخ البشري الطويل بتجاربه الكثيرة، ومراحله الجوهرية، لم يكن ليبقى وتتطور الحضارات على أثره لو لم تحفظه أسفار اللغة، فهي الحافظ للنتاج البشري وتاريخه، والذي كان فيما بعد سبب لتطور الإنسان اليوم والغد؛ لأنه بنى تجاربه ومعارفه على ما

---

[28] الرافعي، مصطفى بن صادق، **وحي القلم**، ج3، ص207.

[29] نعوم تشومسكي، **عالم اللغة مقابلات مع جيمس ماغيلفري**، ص101.

وصل إليه السابقون، ومن بعده يستفيد من ذلك.

- الوظيفة الرمزية: يرى البعض أن ألفاظ اللغة تمثل رموزاً تشير إلى الموجودات في العالم الخارجي، وبالتالي فان اللغة تخدم كوظيفة رمزية، فهي تدل على النسق الفكري الثقافي للمتحدث، وطرائق تفكيره، والتأثير الثقافي الذي يؤثر عليه، فاللغة نفسها نظام بالغ التشفير، متعدد الوسائل، متجدد الرموز اللفظية والصوتية والكتابية. [30]

وهذه المزية متطورة ومنحازة للبيئة الثقافية التي تنشأ فيها، وتشير بطرف خفي على طريقة تفكير الإنسان، وسلوكه، وقيمه. [31]

فهذه عشرة كاملة في وظائف اللغة، وهي أربى من ذلك، فاللغة والهوية كالكائن الحيّ ينمو، ويترعرع ويشب، ويشيخ، وقد يموت إذا لم تتوفر له عوامل الديمومة، والاستمرار، فهو مرهون في ذلك بتنوع الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية، فعندما يتطور المجتمع حضارياً، وإنتاجياً تتطور اللغة والهوية، فهي في الطور البدوي تختلف عنها في المدنية، والحضارة، وهي في أهل الصحراء خلافها في الجبال والسهول.

---

[30] ينظر: إدوارد سعيد، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، ص71.

[31] ينظر: عبد العزيز راغب شاهين، **أنثروبولوجيا اللغة**، ص11.

المبحث الثاني: مكونات الهوية، وعلاقتها باللغة العربية

- **أولاً: مكونات الهوية:**

أبرز مكونات الهوية تكمن في أهم ما تملكه الشعوب من مقدرات بنت حضارتها، وحافظت على بقائها، إذ الإنسان بلا هوية لا يمكنه البقاء فضلاً عن أن يبدع، ويحمل مشاعل النهضة، ومكونات الهوية في كل أمة هي كالآتي:

1. المعتقدات الدينية: فالمجتمعات البشرية لم تعرف البعد عن العبادة، ونبذ الدين، وما الإلحاد فيها إلاحادث لا حياة ولا روح له، فلا تكاد توجد حضارة بشرية قديمة إلا ومكان العبادة فيها ظاهر معلوم، ومنها تشكلت كثير من قضاياها الثقافية، واصطبغت به هويتها صبغة ظاهرة.

فالدين ليس مجرد شعائر وعقائد، وإنما مكون أساسي للرؤية الكونية في جوانبها المتعددة، وميادينها المختلفة، ومرحلها المتقلبة. [32]

2. اللغة الأم: فنهر الثقافة والهوية يجري في أرض اللغة والدين، وبغيرهما ينضب، ولا تكون هي الأمة ذات الإرث، والتاريخ، والوجود، بل أمة تابعة، فحين تبقى اللغة حية فالأمة التي تتكلم بها في الأحياء فهي وعاء ثقافتها، وعقدتها، وذاكرة تاريخها، " فاللغة وعاء المعارف جميعاً". [33]
3. القيم: فلا وجود لمكون بشري بدون قيم، وأخلاق ومبادئ، يحتكم إليها، وتمثل المرجعية الأخلاقية التي ينشد الوصول إليها في أعلى مرتبها، وهي بذلك تُشكل لباس هويته، وثقافته في نفسه، وفي تعامله مع الآخرين.
4. الإرث التاريخي والعمراني: فهو الصورة الحية لحضارة الأمم، ومستوى تقدمها، وقوتها، والشاهد الذي يبقى على ثقافتها وهويتها، وهو " اللغة المرئية التي تخترق وجدان الإنسان بشكل يفوق في قوته وتأثيره اللغة اللفظية". [34]

---

[32] ينظر: عبد الوهاب المسيري، **الهوية والحركة الإسلامية**، ص32.

[33] محمود بن محمد شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص26.

[34] عبد الوهاب المسيري، **الإنسان والحضارة**، ص133– بتصرف يسير–.

والحفاظ على مكونات الهوية، وتنميتها ليست قضية عاطفية أو خياراً حماسياً، بل عملية منهجية تشارك فيها مؤسسات اجتماعية عديدة تشمل الأسرة، والمدرسة، والإعلام، وتحكمها أيضاً البيئة السياسية، والاقتصادية.

- **ثانياً: العلاقة بين الهوية، واللغة:**

تتقاطع الهوية، واللغة في الكثير من المشتركات الكبرى، والعلائق التي لا تفصلهما عن بعضهما، فاللغة لها ارتباط وثيق بالهوية، ومن أبرز تلك المشتركات ما يلي:

1. النهضة والبقاء: فهما توأما اللغة والهوية، وإذا ذهبت لغة قوم فقد ذهبت هويتهم والعكس، " فاللغة بأدواتها وإشكالياتها وفنونها: أدباً وشعراً، هي وسيلتنا لإصلاح عقولنا: إنسانية وآلية وجمعية، ولتنمية تفكيرنا: نقديًا وإبداعيًا، ولزيادة إسهامنا في إنتاج المعرفة: فلسفة وعلمًا وفناً وتكنولوجيا". [35]

وعندنا تتطلب أمة بقاء لغتها وهويتها، فهي تسعى بكل ما أوتيت لسن القوانين الصارمة للحفاظ عليها، كما تستمر في نشرها وإشاعتها.

2. الحاجة المستمرة للتطوير والتحديث: فالهوية –كما سبق – ليست كياناً جامداً عصياً على التطوير والارتقاء به، فهي تحتاج للتطوير الباعث لقدراتها والمجدد في معالمها، وكذا الحال في اللغة، والعربية فحين لامسها الإسلام زاد في جمالها، وأضاف إليها، وأدخل كثيراً من معارفه عليها، وجدد وطور فيها.

فكل لغة حية تمر بمراحل متعددة، وكبرى للتطوير والتحديث، لكنها كذلك تبقى محصنة، بعيدة المنال عن العبث بأسس بقائها وتاريخها؛ لأن تطورها جاء استجابة لحاجة داخلية طبيعية، لا متابعة لغيرها أو نفوراً من تاريخها وحضارتها، " فاللغة إما أن تكون حصنًا تلوذ به الشعوب لانتشالها من أزماتها، وقلعة حصينة للذود عن الهوية والوحدة القومية، وإما أن تكون سجناً للعقول، والأفكار، والألفاظ إذا ما أنكرنا على اللغة حقها في التطوير، والاحتكاك، والتهجين، وهو ما يؤدي إلى ترهل الفكر، وضمور

---

[35] نبيل علي، **العقل العربي ومجتمع المعرفة**، الجزء الثاني، ص ٢٣٦.

أدوات التعبير، واختناق المعاني بتضييق الخناق على المجاز، والحد من حرية الكلمات في إثراء دلالاتها وإشعاع إيحاءاتها". [36]

3. الرمزية: فالهوية واللغة تحويان الكثير من الرمزية التي لا يحيط بدقائقها إلا أصحابها، وكل وافد على اللغة، ومتعلم لها، يجد حجاب تلك الرموز حاجزاً دون تعمقه في اللغة مهما بلغ من التميز، والتعرف عليه، فلبان أسرار اللغة والثقافة تمضي مع الإنسان منذ نشأته، فتعجز بذلك من لم يتعرف على لسانها إلا في كبره لمجرد التعلم السريع لألفاظها وتراكيبها. [37]

إذ الهوية ليست نظاماً مغلقاً من المعتقدات، والتاريخ، والمعلومات فحسب، بل مؤسسة تحتوي على المعاني والمفاهيم، والقيم، والنظم، والتصورات، والمشاعر.

ودراسة العلاقة بين اللغة والمحتوى الثقافي المؤثر على الهوية لا تعني شيئاً أكثر من أن اللغة لها أساس ثقافي وحضاري، وأنه لا يمكن تحديد مفردات اللغة تحديداً دقيقاً إلا بمعرفة بقية مظاهر الثقافة، وهذا ما قصده علماء الأنثروبولوجيا بقولهم إن اللغة أكبر مما نجده في القواميس والمعاجم. [38]

فالحضارات لا يتم التعمق في فهمها، وكشف أسرارها الملثمة إلا بالولوج في عالم اللغة الواسع.

واللغة أيضاً وسيط متحيز للهوية بكل مراحلها ورمزيتها، وهي أبعد ما يكون عن الوسيط البسيط القادر على تمثيل الواقع فحسب، وكأن اللغة أُعطيت لنا لنخفي بها أفكارنا وتصوراتنا!

4. التداخل في العديد من المعارف والعلوم: فالهوية لها حضورها في العلوم الإنسانية، والعقائد، فقد صبغتها بصبغتها الخاصة، وحددت معالمها وفق تصوراتها، فهي راسخة التأثير في نظرة أفرادها للعلوم، بل النظرة للكون والحياة.

وكذلك الشأن في اللغة فهي ليست نظامًا صوتياً، أو قواعد، وقوانين في بناء الكلمات فحسب، بل قد شاركت العديد من العلوم التي لم تجد بُداً من الاستعانة باللغة والحاجة إليها، وكأن العلم كلما تطور وتوسع كلما احتاج إلى اللغة أكثر، ولعلنا نبين بعض العلوم البينة التي تشاركت فيها اللغة:

قائمة العلوم البينية التي تشترك فيها اللغة: [39]

---

[36] نبيل علي، **تقانة المعلومات والثقافة رؤية عربية**، ص١٦٢.

[37] ينظر: محمود شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، ص66-67.

[38] ينظر: أحمد أبو زيد، **مقال: حضارة اللغة**، ص٢٥-٢٦.

– علوم صورية	– الفرع اللساني البيني
– علم الرياضيات	– اللسانيات الرياضية
– علم المنطق	– علم الدلالة الصورية
– علم الإحصاء	– اللسانيات الإحصائية
– علوم موضوعية (إخبارية)	– الفرع اللساني البيني
– علم النفس	– علم اللغة النفسي
– علم الاجتماع	– علم اللغة الاجتماعي
– علم الطبيعة (الفيزياء)	– علم طبيعة الأصوات (الفولتية)
– علم الإناسة (الأنثروبولوجيا)	– علم اللسانيات الأنثروبولوجية
– علم الأحياء (البيولوجيا)	– علم اللغة البيولوجي

فبان لنا كيف أن اللغة منذ نشأة الإنسان الأولى كانت حاضرة معه، وكيف تعاظم دورها باطراد في توليد المعرفة الحديثة، بما فيها دعم جهود البحث العلمي الحديث في المجالات العلمية المختلفة، حتى أصبحت اللغة من أهم أسس الإنتاج العلمي بجانب كونها وسيلة للتبادل، وسلوك سبيل الإبداع، والابتكار في العلوم، وكأن أي تقدم في فهم اللغة سيفضي إلى فهم أفضل للطبيعة البشرية بصفة عامة، والعقل البشري على وجه الخصوص". [40]

---

[39] ينظر: نبيل علي، **العقل العربي ومجتمع المعرفة**، ص ٢٢٧.

[40] صلاح إسماعيل، **فلسفة اللغة**، ص16.

المبحث الثالث: مكانة اللغة العربية، وأهم خصائصها ودورها، والتحديات الثقافية التي واجهتها.

- **أولاً: مكانة اللغة العربية، وأهم خصائصها:**

العربية من أفضل اللغات، وأوسعها، وبها نزل القرآن الذي وُصف بأنه أبلغ ما يوصف من البلاغة والبيان، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء:192-195][41].

فاللغة العربية ليست لغة تخاطب فحسب، بل هي روح الأمة الإسلامية، ووعاء الدين وحاميته، وبقاؤها بقاء للدين وللأمة، فلا توجد لغة ارتبطت بحياة أمة كاللغة العربية، فهي لغة القرآن، والسنة، وعلوم الإسلام وذاكرتها الثقافية، والحضارية، وتاريخها الباقي.

ونهضة العربية، نهضة لفكر الأمة الإسلامية، وعلامة نبوغه وعبقريته، وسطور علومه، وروح تراثه وقيمه، وحافظة تاريخه،

من أبرز الجوانب التي تدلنا على عظيم مكانة اللغة العربية، وأبرز خصائصها ما يلي:

أن بقاء اللغة العربية بقاء للإسلام وعلومه: فالعربية هي لغة القرآن التي نزل بها، ولسان النبي ﷺ الذي جاء بالدين، وبشّر به، وعلّمه للناس كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:103]" فإن الله تعالى لما أنزل كتابه بلسان عربي مبين، وجعل رسوله ﷺ مبلغاً عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، جعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين، ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، و أقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم".[42]

---

[41] ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج1، ص254.

[42] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ج1، ص ٤٠٢.

وعلوم الإسلام، والعربية تطورت، ونهضت باللغة العربية، وقد قال عمر –رضي الله –: " تعلموا العربية وتفقهوا في الدين وأحسنوا عبارة الرؤيا"[43]، وقال أيضاً: " تعلموا العربية كما تعلمون القرآن"[44].

فالمكتبات الإسلامية بما تحمله من تراث، ومعارف أجلها القرآن والسنة دونت باللغة العربية التي وسعتها، وأسهمت في المحافظة عليها، فالمحافظة والارتقاء بها حفظ للدين، والتاريخ الإسلامي بما يحمله من معانٍ تؤثر في أفراده، وتصبغهم بصبغة ثقافية خاصة، تكون حصناً لهم، وحجاباً عن عوامل التغيير والتبديل لمآثرها وقيمهم في حالات ضعفها الداخلي، أو التدخل الخارجي من الأعضاء لتكون تبعاً لأعدائها، يقول جاك بيرك: " إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية العظمى بالذات– الفصحى– فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية عامل قوي في بقاء الشعوب العربية". [45]

فاللغة العربية والهوية الإسلامية متلازمتان، فاللغة العربية هي ما تجعل من بالمكونات البشرية التي تتكلم بها جماعة متماسكة يديرها عقل واحد وقلب واحد –خاصة– إذا كانت هي لغة الدين الذي يؤمنون به جميعًا، "ولم يعرف العالم لغة عمرت –وستعمر بإذن الله تعالى– مثل اللغة العربية؛ لأنها لغة القرآن الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحِجر:9]"[46].

1. أنها لغة عالمية: فاللغة العربية أثبتت أصالتها ومعاصرتها على مر العصور، وشهد تاريخ الفتح الإسلامي على سرعة انتشارها واندماجها في بيئات لغوية متباينة، ونجحت العربية في عصور الازدهار أن تكون أداة فعالة لنقل المعرفة، وأن تكون لغة العلم والأولى في العالم عبر عصور متطاولة.[47]

---

[43] البيهقي، **شعب الإيمان**، 219/4.

[44] عبد الله بن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث وللآثار**، ج6، ص116.

[45] ينظر: حلمي بن عبد المنعم صابر، **قضايا معاصرة في ضوء الإسلام**، ص١٩١. وينظر: أنور الجندي، **القيم الأساسية للفكر الإسلامي**، ص٢٧٢.

[46] حلمي بن عبد المنعم صابر، **قضايا معاصرة في ضوء الإسلام**، ص١٩٣.

[47] ينظر: عبد المجيد الطيب عمر، **منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة**، ص68، وينظر: نبيل علي، **تحديات عصر المعلومات**، ص٤٦.

وإذا كانت اللغة ذات أهمية في حياة الأمم، فإن اللغة العربية هي روح الأمة الإسلامية، وهي وعاء الدين والثقافة وحاميتها، وبقاؤها بقاء للدين وللأمة، ولم توجد لغة ارتبطت بحياة أمة مثل اللغة العربية، لأنها لغة القرآن والسنة والعلوم والتراث والتاريخ، فهي العمود الفقري للإسلام، وهي حقاً لغة حياة أو موت بالنسبة للمسلمين. [48]

كما كان للغة العربية أثرها الواضح على اللغات الأخرى التي دخل أهلها في الإسلام، كالفارسية والتركية والأوردية وغيرها، والتي تحوي الكثير من الألفاظ العربية، بل كتب بعضها بحروف العربية ورسمها، وبعضها صار الغالب من مفرداتها من اللغة العربية.

2. أنها لغة خصبة وغنية: فاللغة العربية تتميز بالخصب والغنى في مفرداتها واشتقاقاتها وكثرة مفرداتها وألفاظها، وقدرتها على النمو والازدياد، والتطور والتحديث المستمر المنضبط الذي لا يجرفها عن أصلها ومنابعها الأصيلة، فهي من أغنى لغات العالم ألفاظاً وكلمات، وذات جمال ورقة وعذوبة في أصواتها ومعانيها، " وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، فأما السعة فالأمر فيها واضح، ومن تتبع جميع اللغات لم يجد فيها على ما سمعته لغة تساوي العربية، ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات، وتزين الدقة ووجازة التعبير لغة العرب، وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز مع ما فيها من كنايات واستعارات ترفعها فوق كل لغة بشرية أخرى ...، وهي مع هذه السعة والكثرة أوسع اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها... والفارابي على حق حين يبرر مدحه للعربية بأنها كلام أهل الجنة، وهو المنزه بين الألسنة عن كل نقيصة، والمعلى من كل خسيسة، ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظًا". [49]

فاللغة العربية هي روح الدين الإسلامي، وهويته الصوتية، والتاريخية، والثقافية، وبلسانها وحرفها نزل الكتاب العزيز، فمنحها سر البقاء، وكتبها في سفر الخلود حين جعل الله كتابه بلسان عربي مبين في

---

[48] ينظر: حلمي بن عبد المنعم صابر، **قضايا معاصرة في ضوء الإسلام**، ص١٨٩.

[49] أنوار الجندي، **القيم الأساسية للفكر الإسلامي**، ص٢٧٧. وينظر: حلمي بن عبد المنعم صابر، **قضايا معاصرة في ضوء الإسلام**، ص١٩٤-١٩٧.

نظامها اللغوي والصوتي والكتابي، "فلما خُص اللسان العربي بالبيان عُلم أن سائر اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه".[50]

- **ثانياً: دور اللغة العربية في المحافظة على الثقافة الإسلامية:**

للغة العربية دور جوهري في بناء الثقافة العربية الإسلامية، فهي وعاؤها الكبير، وسفيرها للأجيال على تتابعها، ومما من إنسان يستطيع الوصول إلى عمق ثقافة إنسانية وهو غريب عن لسانها ومواطن أهلها وتاريخهم، وقد برز لنا دور اللغة العربية وارتباطه بالثقافة والهوية، في جوانب كبرى نذكرها فيما يلي:

- ما اختص الله به هذه اللغة من نزول القرآن بلغتها، وبعث خاتم النبيين من أهلها.

فهو شرف عظيم ذكرّ الله به الله جل جلاله قريشاً في قوله:تيوَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ وَسَوۡفَ خجتى [الزخرف:44]." قيل في معناه: أنه شرف لهم حيث أنه نزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعلمهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخُلص من المهاجرين السابقين الأولين، ومن شابههم وتابعهم".[51]

- ويتبع لذلك أن من قصد التبحر في العلوم الإسلامية فلابد له من المعرفة الكبيرة في اللغة العربية، فالقرآن بها نزل، وبفمهم معاني اللغة يُعرف مقصود الشارع على الوجه الصحيح.

فالدين من الأركان التي تؤثر في الثقافة البشرية، وفي تاريخها الطويل كانت العبادة ومازالت لها المكانة الكبيرة في حياة الناس، فربما اختفت عن طلولهم دُور التعليم، ومحال التسوق، لكن يستحيل ألا يوجد في آثار البشر دُور العبادة لما للدين من ارتباط وثيق بحياة الإنسان.

والعلوم الإسلامية لها ارتباط وثيق بمعاني القرآن والسنة والتي لا يمكن الوصول لها إلا بفهم اللغة العربية، والقول في فهم الشريعة بالرأي غير الجاري على موافقة العربية هو من الرأي المذموم، ولا سبيل للوصول للفهم الصحيح لمراد الله ومراد رسوله الكريم إلا بفهم العربية.

فلا يتم حفظ الدين والقيام به إلا بحفظ العربية وصيانتها.

- أن الإسلام نقلها من المحيط العربي إلى المحيط العالمي، وارتبطت به ارتباطاً وثيقاً.

---

[50] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، ص19. وينظر: عبد المجيد الطيب عمر، **منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة**، ص219-220.

[51] ابن كثير، الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، 229/4.

فاللغة العربية التي نزل بها القرآن كانت بلسان قريش، والذين كانوا يصطفون من لهجات العرب أفصحها، وأسهلها على اللسان، وأعذبها على السمع، وأبينها على المراد عند النطق، وحين دخلت قريس والعرب معها في دين الله، وحملوا رسالة الإسلام للعالمين، نهض الإسلام باللغة العربية، وأثرى مصطلحاتها، وحبب إلى الناس تعلمها.

والقرآن الكريم أبان عن صور بلاغية بديعة في اللغة العربية، وسنة النبي المصطفى حملت ينابيع الفصاحة والبلاغة بدون تكلف، فبعد أن "كانت العربية في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات، وأبطلت أمور، ونقلت من اللغة ألفاظ في مواضع إلى مواضع أخرى بزيادات زيدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت. فعفَّى الآخر الأول، وشُغل القوم بعد المغاورات والتجارات، وتطلب الأرباح والكدح للمعاش...بتلاوة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبالتفقه في دين الله عز وجل، وحفظ سنن رسول الله ﷺ مع اجتهادهم في مجاهدة أعداء الإسلام". [52]

فبقاء العربية بقاء للثقافة الإسلامية وارتباط وثيق بها وبتاريخها وعلومها، كم أن العربية حصن الثقافة الإسلامية العصي على الهدم، ومالدعوات إلى العامية أو نبذ العربية والبحث عن لغات أخرى إلا تفريق بين المسلمين، وقطع لرحم الدين والتاريخ بينهم.

- أن اللغة العربية لها رباط وثيق بالأخلاق الإسلامية.

فتعلم العربية يُهذب اللسان، ويزيد من المروءة، ويكسي المرء ثوب الشجاعة والإقدام حين يتذكر جميل معاني أشعارها، وأدبها، فقد قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: " تعلموا العربية فإنها تزيد في المرؤة". [53]

فاللغة العربية تضفي قيمة جمالية على لسان المرء وأخلاقه، فحبها والتمسك بها هداية للمرء في دينه وأخلاقه؛ "إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء"[54].

---

[52] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، ص44-46. وينظر: محمد إبراهيم الحمد، **فقه اللغة مفهومه – موضوعاته – قضاياه**، ص125-126.

[53] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، ص25.

- **ثالثاً: التحديات الثقافية التي واجهتها اللغة العربية:**

واجهت اللغة العربية العديد من التحديات، والمصاعب في سيرة بقائها، وثباتها أمام اللغات الوافدة، والتي رغب أصحابها بفرضها على العربية، وإزاحة العربية من ساحات القمة والريادة، وارتباطها القوي بهوية الأمة وثقافتها، وتجديد النظرة للغة العربية مدخل أساسي في مواجهة التحديات الثقافية، وكانت من أظهر التحديات التي واجهاتها اللغة ولها تعلق مباشر بالهوية والتأثير عليها ما يلي:

1. الترجمة: والتي كان لها دور مهم في حركة النهضة العربية، وبعد أعوام من العزلة والتباعد في التفاعل العلمي والثقافي، شهدت حركة الترجمة العربية نشاطاً ملحوظاً منذ بداية القرن الحالي، وتنبع أهمية الترجمة من كونها منبهاً ومنشطاً لغويا وثقافياً لابد منه.

والترجمة لا تعني النقل من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وحسب، بل هي صفحة من صفحات المثاقفة والتفاعل الإنساني، فلها دور في بناء الهوية، فهي عامل مهم من عوامل التطوير والتقدم في مجالات الفكر والمعرفة، ولكنها ليست بمفردها قادرة على تطوير الفكر وبناء الهوية، لكن يمكنها أن تكون البداية لوضع لبنة من لبنات البناء الفكري، والثقافي في المجتمع الذي يتلقاها.

وتتعاظم أهمية الترجمة يومًا بعد يوم نتيجة للانفجار المعرفي، والتقدم التقني الكبير في جميع مجالات الحياة، وفي تقرير التنمية الإنسانية العربية ٢٠٠٢م أشار إلى ضعف حركة الترجمة في العالم العربي بل ضمورها الشديد مما يكاد يقضي على دورها المأمول في نقل المعرفة، وتوطينها باللغة العربية، فقد كشفت الإحصاءات أن ما يترجمه العالم العربي من كتب لا يزيد عما يترجمه بلد أوروبي واحد كاليونان الذي يقل عدد سكانه عن ٥% من سكان الوطن العربي ولا ريب أن قصور الترجمة العلمية في عالمنا العربي وراء تعثر جهود تعريب التعليم الجامعي، والذي له دور كبير في الإبقاء على ريادة العربية. [55]

وتزداد أهمية تعريب العلوم مع تضخم المادة العلمية، حيث تساعد اللغة الأم على زيادة معدل الاستيعاب، ورسوخ المفاهيم في ذهن المتعلم، ومن جانب آخر فإن اللغة تحمل في جوفها خلية

---

[54] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل **فقه اللغة وسر العربية**، ص15.

[55] ينظر: نبيل علي، **تقانة المعلومات والثقافة رؤية عربية**، ص٢٤٩.

الإبداع، فعملية الإبداع اللغوي في سك الألفاظ الجديدة، وتوسيع المعاني هي بمثابة التدريب المستمر الذي يجعل الذهن متأهباً للإبداع في مجالات خارج نطاق اللغة.

ومن إشكالات الترجمة أنها تقف عاجزة أحياناً عن الترجمة المعبرة الصادقة للأفكار، فمن الإجحاف القول بقدرة اللغة على نقل الأفكار إذا اعتقدنا أن التعبير اللفظي لن يكون له معنى إلا إذا تلاءم تماماً مع قواعد القياس والاستنباط والاستقراء، فليس من السهل نقل الفكر من لغة لأخرى؛ نظراً لأن الكلمة الواحدة تكون مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالفكرة التي تعبر هذه الكلمة عنها بالظروف الاجتماعية، والثقافية، بل وبأنماط السلوك ونظرة الشخص في الثقافة المعينة الى العالم ككل. [56]

2. الاستعمار: فاللغة هي أهم مكونات الهوية للمجتمع، والتي تحميه من التبعية للآخر، ولكي يتمكن المستعمر في البلد الذي ينزل فيه لابد من إزالته لأمرين أساسين: اللغة التي تبقي شريان الهوية حياً، والتاريخ والثقافة اللذين يمدان الهوية بمزيد من الانتماء والثبات ضد الغرباء عنها، فلا يستطيع أحد القضاء عليها.

ولذلك كان من أوائل ما فعلته الدول في رحلة الاستكشاف الاستعمارية أن غيرت لغة الأوطان التي سكنتها مع اختلاف في طرق التغيير وحدته.

وحين طاف ببلاد العرب والمسلمين طائف من استعمار غربي كان من أوائل أعماله تغريب الأمم التي غزاها ثقافياً ولغوياً، في حين ضعف وتخلف صناعي وحضاري أصيبت به البلاد الإسلامية، في مقابل نهضة كبرى في مجالات الصناعة والتكنولوجيا سحرت أعين الغافلين، ممن انجذب لها ورضي بالتبعية للغرب إما طوعاً أو إكراهاً إلا بقية ظلت تقاوم في سبيل دينها ولغتها وثقافتها، ، فأحدث بذلك " شرخاً وتمزقاً في الهوية، ومازالت آثاره وتداعياته باقية موجودة إلى اليوم، وتظهر تجلياته في ميادين اللغة والتعليم والثقافة، وحتى في أنظمة السلوك الفردي والاجتماعي، وفي أنماط العيش وطرق الحياة ". [57]– إقامة رابطة القومية عليها وحدها.

---

[56] ينظر: أحمد أبو زيد، **مقال: حضارة اللغة**، ص31.

[57] زكي ميلاد، **الهوية وتحديات العصر**، ص71.

فاللغة العربية ارتبطت بالإسلام ارتباطاً وثيقاً وبالدين الإسلامي، وكل محاولات إبعادها عن الدين الإسلامي ألجأت العربية إلى مضائق الخذلان والضعف، فأفضل عصور ازدهار العربية هي العصور الإسلامية المشرقة.

لكن الدعوة إلى القومية بصلة العربية وحدها فرقت بين إخوة ربطهم الإسلام برباط وثيق، وقربت الأعداء وأكرمتهم إكراماً عظيماً بدعوى تكلمهم بلسان العربية، فانقطعت أوشاج التاريخ والاتصال بخاتم الأنبياء والرعيل الأول، وتبدئ التفريق بين المجتمعات الإسلامية التي أحبت العربية حُباً مضاعفاً وتمسكت بها، " إذ القومية ليست ديناً سماوياً يمنع أهله من البغي والفخر، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء". [58]

3. الدعوة إلى العامية: فالعامية رغم كونها فاعلة في حياة الناس إلا أنها في الوقت نفسه بسيطة لا تستطيع التعبير عن المفاهيم المركبة، كما أن معجمها قليل ومحدود، وحدود مجالات التعامل بها محصور في المعاملات اليومية غالباً، وحتى مناحي إبداعها الفني والتصويري يظل مستوحى من واقعها البسيط، ودون ما وصلت له الفصحى، والتي تطورت وتكاملت عبر قرون غمرها الأدباء والنقاد والمفكرون المبدعون بمزيد من الإثراء.

4. كما أن الدعوة للعامية هي تقسيم للأقطار الإسلامية والعربية، وانفصال عن تاريخ وإرث هام للمسلمين والعرب، وابتعاد عنه، يحوله يوماً ليكون عصياً على الفهم والإدراك لمغازيه ومعانيه الدقيقة، التي لا يفهمها إلا أهل اللسان العربي الفصيح.

فالعامية ظاهرة في كل اللغات، وقد لازمت العربية منذ أقدم عصورها، لكنها لم تكن لتعرف ميدان الريادة، أو تتصدر في الكتابات الأدبية إلا في عصور الانحطاط الثقافي، والسياسي، والاقتصادي للمجتمعات العربية. [59]

فالدعوة إلى العامية تحدثاً وكتابة كانت من الوسائل التي سعت إلى هدم بنيان العربية الفصحى في نحوه وبلاغته، بل شككت في موروثه الشعري القديم، وحاولت إحلال العامية مكان العربية بوسائلها المتعددة

---

58 عبد العزيز بن عبد الله بن باز، **نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع**، ص20.

[59] ينظر: نفوسة بنت زكريا سعيد، **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**، ص24.

في مجلاتها ومؤلفاتها، لتمهد السبل بعد ذلك إلى هدم العلوم الإسلام وأعمدته، " إنهم باختصار يريدون مسخ الذاتية الإسلامية، وتحويل الأمة إلى قطعان شاردة لا عاصم لها من دينه ولا جامع لها من لغة أو تراث". [60]

5. التعليم الأجنبي:

فالتعليم منظومة تربوية وتعليمية تشكل انتماء وهوية المتلقي، فهي من حصون الهوية المباشرة، فتركها للتعليم الأجنبي بلغتها بالغ التأثير في هويتها، وهو اختراق لثقافتها الأصيلة، بل الأشد من ذلك الإتيان بالتعليم الأجنبي إلى أوساط حقولها ليكون علامة رحيل ثقافتها وهويتها، ولغتها العلمية والثقافية عن حياة وأجيال أبنائها، فاللغة منحازة للثقافة التي تحملها، " وما روح التعليم وجوهره إلا ظل لعقائد واضعيه وأخلاقهم، فلا بد أن ينتج الأهداف والغايات التي تعكس آثار هذا التعليم بكليته على العقائد، والأخلاق والثقافة والسياسة والاجتماع". [61]

والتعليم بلغة غير اللغة القومية في المراحل الجامعية وما قبلها يتسبب في مخاطر كبرى، ومباشرة للغة القومية، تؤدي في النهاية إلى اختفائها أو ضعفها الشديد في أحسن الأحول.

6. ومن التحديات العولمة:

فالعولمة تسعى للهيمنة الثقافية، ومحاربة الخصوصية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بل يصل الأمر إلى محاولة محو حقيقة وجود الهوية من أصله، وأن مفهوم الهوية ما هو سوى وهم وضرب من خيال نخبة من المفكرين. [62]

وفي ظل العولمة تتعرض العربية لحركة تهميش نشطة، وتشارك العربية في ذلك معظم لغات العالم، في سبيل إفراغ الساحة اللغوية، والثقافية، للثقافة الأمريكية واللغة الإنجليزية. [63]

ففي الحديث عن العولمة سنرى آثار دماء المداد الذي فرضته العولمة بتخطيطها في تغييب الثقافات الشعبية، وفي بحث آراء واتجاهات طلبة الجامعة الأردنية وأساتذتها نحو انتشار اللغة الإنجليزية في عصر العولمة، وأثرها على اللغة والثقافة العربية، خلصت الباحثة شيرين أبو حويج: أن اللغة العربية تتأثر

---

[60] حلمي بن عبد المنعم صابر، **قضايا معاصرة في ضوء الإسلام**، ص٢٠٤. وينظر: محمود شاكر، **أباطيل وأسمار**، ص126-129.

[61] بكر بن عبد الله أبو زيد، **المدارس العالمية**، ص32.

[62] ينظر: أحمد الغضيب، **اللغة العربية في عصر العولمة**، ص13. وينظر: نبيل علي، **قضايا عصرية: رؤية معلوماتية**، ص٤٦.

[63] ينظر: د. محمد بسناسي وآخرون، **تحرير: د. سعود سليمان اليوسف، قيمة اللغة العربية**، ص35-36.

بانتشار اللغة الإنجليزية أما بالنسبة للثقافة فهي لا تتأثر بشكل مباشر، لكن بسبب أن اللغة الإنجليزية مرتبطة بالامتيازات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية التي يتطلبها عصر العولمة فقد يؤدي هذا الأمر إلى تهميش اللغة العربية في المستقبل. [64]

فالهوية الثقافية لمجتمعاتنا اليوم تتعرض لتهديد حقيقي في ظل العولمة التي أعطت لنفسها الحق في تجنيس ثقافات العالم، وطمس ملامح خصوصياتها، وكادت أن تتحكم بأرشيف تاريخ الأمم وقيمها، وتزييف أو إثبات ما شاءت منه، مما يخدم أغراضها. [65]

ومن أوضح السبل في مواجهة العولمة يتمثل أساساً في الدفاع عن الهوية الثقافية بالمحافظة علة لغتنا، وتسخير كل التقنيات لذلك، " فاللغة العربية هي وسيلة الدين الإسلامي لتحقيق هذه الهوية، وجعل أبنائها يستشعرون هذا الرباط الروحي الذي يجمعهم، حيث ربط أبناء هذا الزمان المعاصر بسلسلة من الأجيال حتى عصر النبوة"[66].

7. الإعلام: لقد أدرك الفكر الثقافي مدى خطورة مدى خطورة الدور الذي يلعبه الإعلام في المجتمع الحديث، وكانت مدرسة فرانكفورت هي صاحبت السبق في إدراج قضايا الإعلام الجماهيري ضمن التنظير الثقافي بهدف الوصول إلى نظرية اجتماعية تأخذ في اعتبارها الجوانب الاقتصادية، والسياسية، والثقافية لنظم الإعلام، ومن وجهة نظرها فإن عولمة الإعلام ما هي إلا أداة للسيطرة الاجتماعية، وتجديد دماء الرأسمالية، من أجل مزيد من الاستغلال والاستقطاب الاجتماعي. [67]

فمن أخطر الأسلحة التي استخدمتها العولمة في فرض رؤيتها الثقافية، والاجتماعية بل والدينية المهددة للهوية كانت الأدوات الإعلامية بطرائقها المختلفة، والتي توصلت إلى ثقافات وهويات الأفراد قبل الجماعات، فعولمة الإعلام يجعل اللغة العربية غريبة في وطنها، منبوذة بين كرام أهلها، ليتحقق لأرباب

---

[64] ينظر: شيرين أبو حويج، **آراء واتجاهات طلبة الجامعات الأردنية وأساتذتها نحو انتشار اللغة الإنجليزية في عصر العولمة وأثرها على اللغة والثقافة العربية**، رسالة ماجستير: 2010م، ص99.

[65] ينظر: **المصدر نفسه**، ص٣٥-٣٦.

[66] سعود بن سليمان اليوسف وآخرون، **تحرير: د. سعود سليمان اليوسف، قيمة اللغة العربية**، ص76.

[67] ينظر: نبيل علي، **تقانة المعلومات والثقافة رؤية عربية**، ص٢٩.

العولمة السيطرة على المقدرات الاقتصادية والإنتاجية حين يسيطرون على الثقافة واللغة، ويستبدلونها بنشر قيمهم وأناط حياتهم المعيشية، وممارساتهم الاجتماعية، فتلحق بهم شعوب وأمم تقليداً وهزيمة ثقافية مرة، وقد كأن حقها القيادة والريادة.

والثورة المعلوماتية: فالثورة التكنولوجية والمعلوماتية التي صحبت الإنترنت فاقمت ظاهرة الانقراض اللغوي كوباء ثقافي يجتاح العالم بأسره، والذي تظهر أهم أسبابه في طغيان اللغة الإنجليزية على الساحة المعلوماتية سواء من حيث معدل الإنتاج للوثائق الإلكترونية وحجم تداولها، أو من حيث اللغة التي تتعامل معها البرمجيات وآلات البحث عبر الإنترنت، حتى استفقنا على إحصائيات اليونسكو المفزعة عن الوضع العالمي للغات، حيث ذكرت أن نصف لغات العالم (٦٠٠٠ لغة) مهددة بالانقراض، ومعدل انقراضها في تسارع متزايد، حتى وصل هذا المعدل حالياً إلى انقراض لغة إنسانية كل أسبوعين.[68] وحيث إن إشاعة استخدام المعلومات أدى لتسارع معدلات التنمية البشرية، ونقل التجارب والخبرات في العديد من الحقول الطبية والاجتماعية في مختلف أنحاء العالم، إلا أن اشتباكها مع العولمة في تأطير الثقافة الإنسانية، والحجر على لغاتها المتعددة، ونشر لغة أو لغات محددة للعالم، له آثاره العميقة في مجال الهوية.

فالثقافة هي محور عملية التنمية الاجتماعية الشاملة، في حين أصبحت تكنولوجيا المعلومات هي محور التنمية العلمية التكنولوجية، والإنجليزية اليوم تكاد تضيق الخناق على ما عداها من اللغات في معظم المجالات العلمية والإعلامية وتكنولوجية، بل وتوشك أن تكون اللغة العالمية المنفردة، وفي هذه الحالة " فإن الرصيد الاستراتيجي الثقافي للبشرية جمعاء صار مهدداً، ويخشى الكثيرون من أن تكنولوجيا المعلومات كادت تقضي على التنوع الثقافي، كما كادت تكنولوجيا الصناعة أن تقضي على التنوع البيولوجي". [69]

فاللغة العربية اليوم تواجه تحديات كبرى إزاء النقلة النوعية الحادة لمجتمع المعرفة، فقد فرضت لغات العالم الأخرى ضرورة تلبية مطالب هذا الواقع المعرفي والاقتصادي الجديد، والذي تمارس فيه اللغة دوراً

---

[68] ينظر: نبيل علي، **تحديات عصر المعلومات**، ص٥٧.

[69] نبيل علي، **قضايا عصرية: رؤية معلوماتية**، ص35. وينظر: نبيل علي، **تقانة المعلومات والثقافة رؤية عربية**، ص١٣.

محورياً، في الوقت ذاته الذي تعاني فيه العربية من أزمة حادة: تنظيراً وتعليماً وتوظيفاً وتوثيقاً وترجمةً بل وتحدثاً بين أفراد شعوبها، تحتاج معه حراكاً تجديدياً يرفع مكانة اللغة العربية إلى منصات القوة والتأثير. فالثورة المعلوماتية أدخلت في عباءتها الفنون والمعارف والأديان، وهي أمور ثقافية تأثرت، وحُفظت، وتطورت بوسائل التقنية، كما أنها غُيبت بسبب إهمال التقنية لها أيضاً.

8. الازدواجية اللغوية: فالإغراق في الحرص على الحصول على لغات أخرى غير العربية، أثر على التحصيل اللغوي للعربية والتميز فيه، وإحراز قصب السبق في الحديث، والكتابة الأدبية الرفيعة بها، أمام سيل اللغات الأجنبية الأخرى التي يُشار بالبنان لمتحدثيها بصورة مشابهة لأهلها الأصليين، ولا يلزم أن يصلوا لدرجة الإبداع الكتابي أو الخطابي بها.

فكان لذلك آثاره على المحصلة اللغوية العربية لدى أفراد الأمة، ووصل تأثيره إلى أن يجهلوا بأمورهم دينهم بسبب جهلهم بالعربية، وهو ما حذر منه بعض التابعين منذ زمن بعيد بالقول: " إنما أهلكتكم العجمة"[70] أي: أن عدم معرفتهم بلغة العرب وفقها وتذوقها، أوصلهم إلى سُبل الهلاك.

وفي سبيل الوصول على تميز مجتمعي أو وظيفي بالحصول على لغة أجنبية لتحل محل العربية، كانت له الجناية الكبرى على العربية، حين قصد أولئك السعي إلى استبدالها في شتى المؤسسات التعليمية، والاجتماعية والاقتصادية، والإعلامية، مما له تأثير غير بعيد على هويتنا وثقافتنا وخارطة ذاكرتنا التاريخية، والتي نحقق من خلالها هويتنا ونهضتنا.

أما إدخالها على التعليم، وفرض التعليم بلغة غير العربية بها فكان الحلقة الأشد خطورة للثقافة والهوية والدين، كما أنها إذا تمسكت بالعربية، وحافظت عليها كان لها ثمرات طيبة مباركة، " إذ إن اعتياد اللغة يؤثر في العقل واللغة، والدين، تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق". [71]ومما سبق يظهر لنا أن من أعظم السُبل للمحافظة على الهوية

---

[70] البخاري، محمد بن إسماعيل، **التاريخ الكبير**، عن الحسن البصري، ج5، ص4.

[71] تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، ج1، ص527.

الثقافية للأمة المحافظة على لغتها، فاللغة هي البرج العالي الذي تتحصن به الهُوية، وحين تسقط أو تضعف فهو إيذان بمرحلة الضعف، وربما السقوط الذي ستصاب به الأمة، والمواجهة لإثبات الهوية الثقافية وتعميقها على أساس من خصائصها وقيمها، مواجهة مزدوجة ذات وجهين: وجه إيجابي لتطوير الهوية وتكييفها وإخصابها حسب تطور المجتمع الحديث، ومقتضيات العصر، والحضور الحضاري بين الأمم بالإبداع والإنتاج في مواجهة حضارة الاستهلاك، والتقليد، والتنميط الثقافي.

ووجه دفاعي لدفع الاستلاب عنها بأنواعه، ومواجهة التغريب والتبعية الثقافية للحملات التي تشنها المراكز الغربية على الهوية العربية والإسلامية، والتي تستخدم الوسائل التي تتيحها تقانة المعلومات، والاتصالات، والعولمة الاقتصادية والثقافية. [72]

[72] ينظر: نبيل علي، **تقانة المعلومات والثقافة رؤية عربية**، ص27.

الخاتمة

فأحمد الله على ما تفضل به عليّ من الانتهاء من هذا البحث، والذي حاولت فيه الكشف عن جانب مهم من علاقة اللغة بالهوية الثقافية، وارتباطها بها ارتباطاً وثيقاً لا ينفصل، وقد توصلت في هذا البحث إلى نتائج أجملها فيا يلي:

– أن اللغة من أجل مظاهر التكريم الذي منَ الله به على الإنسان، فقد علم آدم الأسماء كلها، وأبان عن تكريمه له في سورة الرحمن.

– اللغة العربية تعتبر مدخلاً رئيساً لتحقيق التكامل الثقافي بين البلدان العربية والإسلامية، ورابطة ثقافية وفكرية وتاريخية فيما بينها.

– ظهر لنا من خلال البحث ما للغة من دور رئيس في تشكيلات الحضارات الإنسانية، والحفاظ على تاريخها، ومعارفها، وأنها اليوم تحتل مكانة علية، في شؤوننا الثقافية، والاجتماعية بل الاقتصادية.

– أن اللغة أسهمت في حفظ التراث التاريخي الإنساني، ونقله للأجيال، والأمم المختلفة، ولك أن تتخيل زوال التاريخ البشري لو لم يكن هناك لغة تحافظ عليه، بل الكتب المقدسة، ما كان لها حظ البقاء والديمومة لولا كتابتها، مما ساهم على تطور الفكر والحضارة، وزاد من قدرة النهضة العلمية الكبرى.

– أن العلاقة بين اللغة والهوية والثقافة والحضارة، أكثر من مجرد الأصوات والألفاظ، فلولا وجود اللغة لما قامت هذه الحضارة، أو لظهرت حضارة أخرى من نوع مختلف عن حضارتنا المعروفة.

– أن اللغة كما عرفها ابن جني — رحمه الله —"أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، لكنها في الحقيقة أكثر من مجرد الأصوات المسموعة، فلها رباط وثيق بالهوية.

– الثقافة لها تعريفات كثيرة، ويجمعها أنها ذلك الكل المعقد الذي يجمع الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية، والمعارف والمعتقدات، التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه.

– الهوية هي ذلك الكائن الذي يتجلى في الظاهر الشائع من السمات والخصائص النفسية والثقافية والاجتماعية المميزة للأفراد والجماعة، والتي تختزن العديد من الرمزية مما يخلفها التطور

الحضاري والثقافي، ويبقي رواسبها عبر أزمنة التاريخ، فيصنع لها مرآة ترى بها نفسها، ويراها المجتمع الخارجي من خلالها.

– أن وظائف اللغة كثيرة، وهي أوسع وأعمق من حصرها في وظيفة التواصل الإنساني، وأن أبرز مكونات الهوية تكمن في أهم ما تملكه الشعوب من مقدرات بنت حضارتها، وحافظت على بقائها، وأجلها المعتقدات الدينية والقيم والأخلاق واللغة والتاريخ.

– أن العلاقة بين اللغة والهوية وثيقة متينة، فهما يشتركان في النهضة والبقاء، والحاجة إلى التطوير والتحديث، والرمزية، والتداخل في العديد من المعارف والعلوم.

– أن اللغة العربية لها مكانة كبرى في حماية هويتنا الثقافية عبر العصور الطويلة، والنجاح والتفوق أمام التحديات الجسام التي مرت عليها، وكادت أن تعصف بوجود الأمة العربية والإسلامية.

– أن من أبرز التحديات التي واجهتها اللغة العربية: الاستعمار، والدعوة إلى العامية، ودخول الجامعات والمناهج الأجنبية إلى البلاد الإسلامية، والازدواجية اللغوية.

– السعي إلى إصلاح علوم اللغة والنهضة بها لابد أن يصحبه إصلاح لأحوالنا الثقافية، والاجتماعية والاقتصادية فالترابط بينها كبير ومتين.

– الاستفادة من التكنولوجيا المعرفية لنشر العربية ثقافة وتعليماً، والتمكن من الوصول إلى مراجعها وكنوزها.

– هذا البحث يشير إلى الحاجة الماسة إلى توثيق اللغة العربية بفروع المعرفة المختلفة الثقافية، والاجتماعية، والسعي في التكامل فيما بينها.

– أهم التوصيات:

– اللغة العربية تعيش اليوم أزمة لغوية حادة: تنظيراً وتعليماً وتوثيقًا وتعريباً في ظل سياسة لغوية غائبة، وهي في أشد الحاجة إلى وضع خطط تعليمية، واجتماعية للإصلاح اللغوي، وإصلاح حال المجامع اللغوية وتشجيعها.

– تطوير التعليم بالعربية لأهلها، تيسيراً وتبسيطاً، وتحبيباً في اللغة العربية لغة القرآن.

– المساهمة في نشر تعليم العربية للناطقين من أهلها، وافتتاح المدارس والمعاهد المختصة بذلك.

وفي ختام هذا البحث أشكر الله على ما منَّ به عليّ من إتمامه، وأحسب أن هذا البحث هو القنطرة الأولى في الكشف عن كثير من العلائق بين اللغة والهوية في جوانبها المتعددة، أرجو أن أكون قد وفقت

في ذلك، والله أعلم وأحكم، و-صلى الله وسلم وبارك -على نبينا محمد، وعلى آله، وصحابته أجمعين.

فهرس المراجع

- إبراهيم أنيس وآخرون، **المعجم الوسيط**، (الإسكندرية، دار الدعوة، د.ط، د.ت).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، (طبعة محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ/1997م).
- أحمد أبو زيد، **حضارة اللغة**، (مجلة عالم الفكر، ج2، ع1، أبريل 1971م).
- أحمد مختار عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، (الرياض، دار عالم الكتب، ط1، 1429هـ/2008م).
- أحمد الغضيب، **اللغة العربية في عصر العولمة**، (**الرياض، العبيكان، ط3، 1427هـ/2006م**).
- إدوارد سعيد، **الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق**، ترجمة: د. محمد عناني، (القاهرة، رؤية للنشر، د.ط،1415هـ/ 1995م).
- إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م).
- أنور الجندي، **القيم الأساسية للفكر الإسلامي**، (القاهرة، طبعة وهبة، د.ط، د.ت).
- البخاري، محمد إسماعيل، **التاريخ الكبير**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ-2001م).
- بكر بن عبد الله أبو زيد، **المدارس العالمية**، (عمّان، دار ألفا، ط1، 1427هـ/2006م).
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، **شعب الإيمان**، تحقيق: مختار أحمد الندوي، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1423 هـ -2003 م).
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، (الرياض، مكتبة الرشد د.ط، د.ت).
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، **فقه اللغة وسر العربية**، (بيروت، دار: إحياء التراث العربي، ط1،1422هـ / 2002م).

- جوردون مارشال، ترجمة: محمد الجوهري، **موسوعة علم الاجتماع**، (ط2، 1428هـ/2007م).
- حلمي عبد المنعم صابر، **قضايا معاصرة في ضوء الإسلام**، (الرياض، دار عالم الكتب، ط1، ١٤١٦هـ/1996م).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، (الرياض، مكتبة المعارف، د.ط، 1403هـ/ 1983م).
- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ/1990م).
- الرافعي، مصطفى صادق، **وحي القلم**، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، د.ط، د.ت).
- الرصافي، **ديوان معروف الرصافي**، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للنشر، د.ط،1433هـ/2012م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ/1997م).
- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم المالكي، **الموافقات في أصول الشريعة**، (دار المعرفة، ط6، 1426هـ/2004م).
- شيرين أبو حويج، **آراء واتجاهات طلبة الجامعات الأردنية وأساتذتها نحو انتشار اللغة الإنجليزية في عصر العولمة وأثرها على اللغة والثقافة العربية**، (رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، الأردن: 2010م).
- صلاح إسماعيل، **فلسفة اللغة**، (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1439هـ/ 2018م).
- طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، (بيروت، دار الفكر، ط2، 1408 هـ / 1988م).
- عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ/1999م).
- عبد العزيز بن عبد الله بن باز، **نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع**، (الرياض، مكتبة المعارف، د.ط، 1406هـ/ 1986م).
- عبد العزيز راغب شاهين، **أنثروبولوجيا اللغة**، (القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ط1 ،1438هـ/

2017م).

- عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، **المصنف في الأحاديث وللآثار**، (الرياض، مكتبة الرشد، ط1/1988م).
- عبد المجيد الطيب عمر، **منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة**، (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط2، 1437هـ/2017م).
- عبد الهادي بو طالب، **معجم تصحيح لغة الإعلام**، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1427هـ/٢٠٠٦م).
- عبد الوهاب المسيري، **الإنسان والحضارة**، (ط3،1440هـ/ 2019م).
- عبد الوهاب المسيري، **الهوية والحركة الإسلامية**، (دمشق، دار الفكر، ط6، 1438هـ/2017م).
- عثمان بن جني الموصلي، **الخصائص**، (القاهرة، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، د.ت).
- الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، (بيروت، طبعة مؤسسة الرسالة، ط8، 1426 هـ /2005 م).
- مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، (دمشق، دار الفكر، ط16، 1435هـ/2014م).
- مجموعة من الباحثين، ترجمة: د. علي سيد الصاوي، **نظرية الثقافة**، (الكويت، سلسلة عالم الفوائد، د.ط،1398هـ/ 1978م).
- مجموعة مؤلفين، **الهوية وتحديات العصر**، المحور الأول: الهويات من تحدي الحداثة إلى تحدي العولمة، زكي الميلاد، (الجزائر، ابن النديم للنشر، ط1، 1438هـ/ 2017م).
- محمد إبراهيم الحمد، **فقه اللغة مفهومه – موضوعاته – قضاياه**، (الرياض، دار ابن خزيمة، ط1، 1426هـ/2005م).
- محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، طبعة: دار هجر، ط1، 1422 هـ -2001 م).
- محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الأفريقي، **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414 هـ/1993م).

- محمد عمارة، **أزمة الفكر الإسلامي المعاصر**، (بيروت، دار الشرق الأوسط، د.ط، 1410هـ/ 1990م).
- محمود محمد شاكر، **أباطيل وأسمار**، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1426هـ/2005م).
- محمود محمد شاكر، **رسالة في الطريق إلى ثقافتنا**، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ط2، 1427هـ/ 2006م).
- مصطفى المرابط، تحرير: هشام مكي، **سؤال القيم بصيغ متعددة**، (بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1436،1هـ/ 2015م).
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، **استراتيجية نشر الثقافة العلمية والثقافية في الوطن العربي**، (طبعة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د.ط،1427هـ/ ٢٠٠٦م).
- نبيل علي، **العقل العربي ومجتمع المعرفة** الجزء الثاني، (الكويت، عالم المعرفة، د.ط،1430هـ/ ٢٠٠٩م).
- نبيل علي، **تحديات عصر المعلومات**، (القاهرة، دار العين، ط2، 1428هـ/2007م).
- نبيل علي، **تقانة المعلومات والثقافة رؤية عربية**، (القاهرة، دار العين، ط1، 1427هـ/2006م).
- نبيل علي، **قضايا عصرية رؤية معلوماتية**، (القاهرة، دار العين للنشر، ط1، 1426هـ/ ٢٠٠٦م).
- نعوم تشومسكي، **عالم اللغة مقابلات مع جيمس ماغيلفري**، (الرياض، العبيكان للنشر، ط1، 1439/ 2018م).
- نفوسة زكريا سعيد، **تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر**، (القاهرة، دار الفاروق، ط1، 1437هـ/2016م).